مجلـــة كليـــة السياحـــة والفنـــادق
جامعـــة مدينـــة الســـادات
رابـــط المجلـــة
https://mfth.journals.ekb.eg/

بصمات الحملة الفرنسية في دير سانت كاترين (1798–1801)

شيماء عبد التواب سيد
أستاذ مساعد بقسم الإرشاد السياحي
كلية السياحة والفنادق – جامعة حلوان

مروة عز الدين عبد العزيز
مدرس بقسم الإرشاد السياحي
معهد سيناء العالي للسياحة والفنادق

الترقيم الدولى الموحد للطباعة:
2537-0952
الترقيم الدولى الموحد الإلكترونى:
3062-5262
DOI:
10.21608/MFTH.2025.429777

الملخص

تتميز سيناء بموقعها الإستراتيجي الهام، فهي المفتاح الرئيسي لمصر في قلب العالم بقاراته وحضاراته ومحور الاتصال بين قارتي أفريقيا وآسيا، وبين المشرق العربي والمغرب العربي ومن جانب آخر تزخر بمجموعة من المعالم الأثرية والدينية والسياحية إضافة إلى امتلاكها العديد من المقومات الطبيعية ودورها الإستراتيجي على مر العصور. سجل التاريخ معارك كبرى دارت على أرض سيناء، فتحولت خلالها إلى ساحة معارك، وخير دليل على هذا التحول الجذري هو قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر والتي تغيرت فيها نظرة جنرالات الحملة الفرنسية ورؤيتهم لإحدى مناطق سيناء ألا وهو دير سانت كاترين في محافظة جنوب سيناء بمصر والذي يقع أسفل جبل كاترين. يعد دير سانت كاترين أقدم الأديرة في العالم ومزار سياحي عالمي بالإضافة إلى وضعه الديني المتميز بين كنائس وأديرة العالم واستقلاليته الإدارية فبقدوم الحملة الفرنسية إلى مصر عام 1798-1801 زادت أهمية سيناء الإستراتيجية والدفاعية وانعكس ذلك على الاهتمام بدير سانت كاترين.

اعتمد البحث على المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي لدير سات كاترين؛ فيجيب البحث عن تساؤلات مثل:

- الدور الأثري والديني والتاريخي لدير سانت كاترين؟
- ما قامت به الحملة الفرنسية من تغيرات جوهرية في عمارة الدير؟
- إلقاء الضوء على تطورات المسارات السياحية بدير سانت كاترين؟
- طرح نقاط من التوصيات الخاصة برفع الوعي التاريخي والأثري لدى المرشدين السياحيين بأهمية الدير ليس فقط من الناحية الدينية ولكن لأهميته كمركز تراثي ثقافي وحضاري عبر العصور. وهذا إلى جانب ما سيتضح من خلال الدراسة.

الكلمات الدالة

سيناء، دير سانت كاترين، علماء الحملة الفرنسية، عهدة النبى محمد لرهبان الدير، مرسوم نابليون، كليبر.

The Imprints of the French Expedition on St. Catherine's Monastery (1798-1801)

Shimaa Abdel Tawab Sayed Abdel Meged[1] **Marwa Ezz El-Din AbdelAziz**

[1] *Associate Professor, Tourist Guidance Department, Faculty of Tourism and Hotels, Helwan University*

[2] *Lecturer, Tourist Guidance Department, Sinai Higher Institute for Tourism and Hotels, Ras Sadr*

Printed ISSN: 2537-0952
Online ISSN: 3062-5262
DOI: 10.21608/MFTH.2025.429777

ABSTRACT

Sinai is distinguished by its important strategic site, it is the main key to Egypt at the heart of the world with its continents and civilizations, and the axis of communication between the Africa and Asia. On the other hand, it is rich in a group of archaeological, religious and tourist landmarks, in addition to its possession of many natural components and its strategic role throughout the ages. Sinai's history has witnessed numerous major battles that transformed it into a battlefield. The best evidence of this transformation is the arrival of the French Expedition in Egypt, where the vision of French generals changed, along with their look of a part of the Sinai region, namely St. Catherine's Monastery in South Sinai Governorate. St. Catherine's Monastery is the oldest monastery in the world and international tourist landmark, in addition to its distinguished religious status among the world's churches and monasteries and its administrative independence. With the arrival of the French Expedition to Egypt in 1798-1801, the strategic and defensive importance of Sinai increased, and this was reflected in the interest in St. Catherine's Monastery.

The research relies on historical, descriptive, and analytical of Saint Catherine's Monastery. It answers questions such as:

- What is the archaeological, religious historical role of Saint Catherine's Monastery?

-What fundamental changes did the French Expedition cause to the monastery's architecture? Continued focus on the tourist routes of Saint Catherine's Monastery? Recommendations include raising historical and archaeological awareness among tour guides about the monastery's importance, not only from a religious perspective, but also as a center of cultural and civilizational heritage throughout the ages, in addition to what will become clear through the study.

KEYWORDS

Sinai, Saint Catherine's Monastery, French Expedition's Scholars, The Prophet Mohammed's covenant to the monks of the monastery, Napoleon's decree, Kelaper.

مقدمـــة

تبدو سيناء في عيون زائريها أرضاً ذات مسارات قديمة وحديثة ولا عجب في ذلك فقد رسمت بنفسها خارطة طريقها منذ زمن سحيق؛ فكان الرحالة أمثال ابن بطوطة وأكسندر كينغليك يسلكون دروباً غنيةً بالآبار هرباً من الجبال الوعرة والتضاريس الشاقة (حالياً، طريق الساحل الشمالي من الفرما إلى العريش ومنه إلى رفح)، بينما يسلك آخرون الدروب الجبلية الجنوبية تحت إرشادٍ من البدو، ومن ثم كان الوصول إلى سيناء إما من خلال المحطات القديمة (مثل السويس) أو من خلال الحديثة (مثل شرم الشيخ) مروراً بقرى ذات خلفيات تاريخية هامة وواحات وآبار منتشرة في جميع الجهات (Menely & Abdel-Hakim 2006).

في قلب محافظة جنوب سيناء (شكل 1) تتلألأ مدينة سانت كاترين كجوهرةٍ جذابةٍ فوق قمة جبل الطور على ارتفاع 1600 متر فوق مستوى سطح البحر، ومسافة ٣٠٠ كيلومتر من السويس شرقاً وحوالي 200 كيلومتر من شرم الشيخ شمالاً. وتبلغ مساحتها الكلية ٥١٣٠ كيلومتر مربع. تعد من أكثر مدن المحافظة كثافةً سكانيةً (فخري وآخرون،1982؛ حلمي، 2012). ويرجع أصل التسمية إلى تخليد ذكرى القديسة العذراء الشهيدة كاترين، التي عاشت في مدينة الإسكندرية في عهد الإمبراطور الروماني مكسيمانوس حوالي 305-311ميلادياً وظلت متمسكةً بديانة المسيحية رافضةً الارتداد عنها متحملةً العذاب إلى أن فُصل رأسها عن جسدها فنالت بهذا شرف الاستشهاد (سلطان، 2015).

يعد دير سانت كاترين في جنوب سيناء واحداً من أقدم الأديرة المسيحية العاملة في العالم، إذ يعود تأسيسه إلى القرن السادس الميلادي ليكون بمثابة حصن ديني ومكان عبادة وخدمة للحجاج. وقد شهد الدير عبر العصور تداخلا ثقافيا فريداً بين الحضارتين المسيحية والاسلامية. وكان يمثل قيمة تاريخية وروحانية ومعمارية فريدة جعلته محط أنظار العديد من القادة والحكام، وعلى رأسهم نابليون بونابرت وذلك خلال قيادته للحملة الفرنسية على مصر. وظل الدير محافظاً على دوره الديني والثقافي حتى أصبح من أبرز مواقع التراث العالمي المدرجة في قائمة اليونسكو. لذا فإنه من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة التي تدور حول موضوع البحث، تبين وجود فجوة علمية في هذا الشأن، إذ أن غالبية اهتمام الباحثين كان منصباً على دراسة الدير من منظور فني أو تراثى. وفيما يلي عرض لما تناولته هذه الدراسات: دراسة (Darwish, 2022)، التي سلطت الضوء على الجوانب المعمارية والتاريخية للمسجد الفاطمي داخل الدير، بهدف دراسة موقعه وتفاعله مع مختلف القوى الحاكمة خلال العصور المختلفة. وعلى الرغم من أن هذه الدراسة لم تقم بتسليط الضوء على الحملة الفرنسية، لكنها وفرت إطارًا لفهم التأثيرات الخارجية على تطور الدير بشكل عام. دراسة شكر الله (2022)، التي أوضحت تأثير الحملة الفرنسية على الرهبان والمجتمع المحلي من خلال مخطوطات مسيحية في مصر. دراسة عبد القادر (2020)، التي تناولت استكشاف ملامح العمارة يحية في سيناء. دراسة عيسى (2019)، التي دارت حول البعثة الأمريكية التي تناولت مخطوطات دير سانت كانت كاترين ووثائقه بسيناء. دراسة يوسف زيدان (2018)، التي كانت تحت عنوان "مخطوطات دير سانت كاترين" تناولت عدة موضوعات، منها عرض الأناجيل الأربعة، وتفسير الأناجيل، وقراءات الآحاد، وسلم الفضائل، وميامر اصطوماالاصا، وسيرة القديس اسطفانوس السائح، وسيرة الرهبان وعبادتهم. دراسة قسمية (2018)، التي أوضحت التأثيرات العلمية والثقافية لحملة نابليون على كل من المجمع العلمي المصري والطباعة والصحافة والترجمة والفنون واكتشاف حجر رشيد. دراسة (Larison, 2016)، التي اعتمدت على الصور الطبوغرافية للدير لتعكس الأهمية الاستراتيجية لموقعه سواء من الناحية العسكرية أو السياسية خلال فترة الحملة الفرنسية. دراسة ريحان (2012)، التي شملت الآثار المسيحية بسيناء باعتبارها دراسة أثرية حضارية. دراسة حلمي (2012)، التي كشفت النقاب عن الدور الثقافي والتنموي الكبير لدير سانت كاترين في المنطقة ككل، من خلال عرض الإهداءات التي أهديت للدير عبر العصور من ملوك ورؤساء العالم. وبناءً على ما تقدم، وقع الإختيار على الموضوع محل الدراسة للجمع بين التاريخ والتراث في آنٍ واحد. وجاء الهدف من الدراسة تسليط الضوء على الأهمية التاريخية والدينية والثقافية للدير بشكل عام وإبراز أهميته لدى علماء الحملة الفرنسية (1789–1801) بشكل خاص، من خلال التركيز على مرسوم نابليون بونابرت والترميمات الخاصة بالدير خلال فترة قادات الحملة نابليون وكليبر.

لمحة عن مدينة سانت كاترين

اكتسبت مدينة سانت كاترين أهمية خاصة بوصفها إحدى أهم المدن المصرية الجاذبة للسياحة البيئية والدينية والثقافية. ولا عجب في هذا، فقد حباها الله مقومات طبيعية جذابة تتمثل في جبالها الشامخة (جبل موسى، جبل الطور، جبل كاترينا) -وقليلةٌ هي المدن التي تمتلك أعلى قمم جبلية في مصر وشواطئها الساحرة، ووديانها الخضراء، وثرواتها البحرية والنفطية والمعدنية. كما تحظى مدينة سانت كاترين بتنوع جذاب من الأحياء

النباتية والحيوانية، ففيها حوالي 30 نوعاً من الزواحف النادرة، و472 من الفصائل النباتية النادرة منها الطبية والسامة، و19 نوع من النباتات المتوطنة التي لا تنمو في أي مكان في العالم سوى في جبال محمية سانت كاترين الواقعة على الهضبة المرتفعة والمحاطة بجبال جرانيتية شديدة الارتفاع البالغ مساحتها حوالي 4250 كيلومتر مربع. وقد أعلنت "محمية طبيعية" منذ عام 1988 وجاء تفعيل ذلك عام 1996، وهي تابعة لجهاز شئون البيئة بوزارة الدولة لشئون البيئة. وقد اكتسبت هذه البقعة من الأرض قدسية روحانية لتلاقي الديانات السماوية الثلاث، اليهودية والمسيحية والإسلامية، التي حملها أنبياء الله موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، لذا أُطلق على منطقة الجبل الأعظم في دير سانت كاترين "ملتقى الأديان السماوية الثلاثة". علاوة على كونها إحدى مواقع خط سير رحلة العائلة المقدسة (Otto,1986) والمحطة الرابعة في طريق الرحلة المقدسة للمقدسين المسيحيين من القدس وعبر شمال سيناء إلى جبل موسى ودير سانت كاترين بعد رفح والشيخ زويد والعريش (ريحان، 2012). إضافة إلى وجود مقامات لأنبياء الله صالح وهارون عليهما السلام، ووجود منشأت دينية هامة، مثل الكنيسة ودير سانت كاترين ومسجد الحاكم بأمر الله الفاطمي (حلمي، 2012). سجل الرحالة والمسافرين إليها تجارب مع بدوها، الذين ظلوا حتى آواخر القرن العشرين غير متأثرين بتيارات الحداثة خارج أرضهم تحكمهم تضاريس سيناء وعادات وتقاليد وثقافة شعبه.(Menely & Abdel-Hakim, 2006)

وعن التخطيط التفصيلي لدير القديسة سانت كاترين ، يوضح (شكل 2) أن الدير يتكون من (1) مدخل تحت الدير، (2) غرفة مربعة داخلية، (3) ممر مسقوف بقبو، (4) منارة القبة، (5) الركن الغربي ذو أعمدة تحمل عقود من أسفله ومحل إقامة رئيس الأساقفة من أعلاه ، (6) غرفة مربعة خارجية بحديقة، (7) برج معاد بناءه في عهد نابليون ومقصورة سان جورج من أعلاه وفناء مرصوف مربع ومعصرة زيتون سفلية من أعلاه ، (9) جناح المرحاض وبرج مبني لاحقاً من أعلاه ، (10) فناء الرهبان ومخبز من أسفله، (11) الجانب الشمالي الغربي وبوابة رئيس الأساقفة، (12) غرفة خارجية مزودة ببئر سان ستيفن، (13) برج دائري القطر يرجع إلى عهد نابليون (Tsafrir, 1978).

أهم معالم مدينة سانت كاترين

تترتب معالم سانت كاترين حسب الأهمية السياحية إلى: جبل سانت كاترين - أعلي قمة في مصر البالغ ارتفاعها 2642 متر فوق سطح البحر (شكل 3)، (شكل 4)، جبل قصر عباس باشا الأول[1] (شكل 5)، البالغ ارتفاع قمته 2341 متر (ريحان، 2019)، جبل موسى - المعروف بـ "جبل سيناء، طور سيناء، حوريب، جبل المناجاة، الشريعة" البالغ ارتفاع قمته 2285 متر. كما يوجد العديد من الجبال الأخرى، مثل جبل الصفصافة (ارتفاع قمته 2145 متر) نسبة إلى جود صفصافة ضخمة تشغل قمته، جبل الصناع و جبل الأحمر (ارتفاع قممهما ما بين 1969 متر و2037 متر)، جبل التجلي على رأس وادي الشيخ نسبة إلى الجبل الذي تجلى الله جل شأنه لنبيه موسى فجعله دكا، جبل الدير نسبة إلى (سلالة من البوسنة والدلاخ) الذين أرسلهم الإمبراطور البيزنطي جيستنيان في القرن السادس للإقامة بجوار الدير والدفاع عنه وحمايته وظل جزء منهم على المسيحية فعرفوا بالجبالية نسبة للجبل او للصبيان.(شقير ،1995؛ سلطان ، 2015)

التراث الأثري لمدينة سانت كاترين

ونقلاً عن Meistermann(1909a) فإن دير جبل سيناء، الذي شيد عند أقدام الجبل المقدس حيث تلقى موسى الشريعة، يحتفظ بمكانته كواحد من أقدس المزارات المسيحية في الشرق. يحيط به سور عال من الحجارة الصلبة كحصن يحميه من أخطار الصحراء وداخله كنيسة غاية في الروعة، تعج بالأيقونات البيزنطية الثمينة وأروقة صامتة تحكي قصة قرون من العبادة والعزلة" (Meistermann, 1909b). وبحسب ريحان (2012) يعد دير سانت كاترين من أهم الآثار المصرية في العصر البيزنطي، والذي بُني سوره من أحجار صخرية قائمة الزوايا من الجرانيت الصلد مستخرجة من جبل الدير المجاور له. وكانت جوانب الدير غير متساوية الطول، فطول الجدار الشمالي الغربي يبلغ 74.80 م، والجدار الشمالي الشرقي 88م، والجدار الجنوبي الشرقي

[1] اكتسبت منطقة الجبل المقدس أهمية سياحية خاصة لوجود قصر عباس الأول بن طوسون بن محمد علي (1848 - 1854م) الذي بدأ بناءه على جبل تلعة غرب جبل موسى، وعندما زار عباس باشا سيناء بنى هناك حمام فوق النبع الكبريتي بمدينة الطور ومهد طريقًا من دير سانت كاترين إلى قمة جبل موسى، وهذا ما أضفى أهمية سياحية علاجية وروحانية وترفيهية.

74.70م، والجدار الجنوبي الغربي 80.50 م. أما عن ارتفاع السور فيبلغ 8م جهة الغرب ويتدرج حتى يصل 25م جهة الشمال. بينما يبلغ سمك السور حوالي 3م (ريحان، 2012).

وبداخل سور الدير بعض الآبار ذات الأهمية التاريخية، منها بئر موسى (شكل 6)، وهو البئر التي سقى منها نبى الله موسى عليه السلام أغنام بنات نبى الله شعيب عليه السلام كما ورد فى قصص القرآن الكريم، ويقع البئر شمال الكنيسة الكبرى، وهى بئر قديمة مطوية بالحجر يبلغ عمقها نحو تسعة أمتار محاطة بسياج من حجر الجرانيت من الأعلى وأخيرا أصبح لها غطاء من الزجاج لتسهيل رؤية عمقها للزائرين، وهناك بئر أقدم من الدير نفسه، بالقرب من العليقة، وهى بئر عميقة مطوية بالحجر والطاحونتين. وهناك أيضاً بئر هارون، التي يبلغ عمقها حوالي 40 متر (شقير، 1995).

لمحة تاريخية عن دير سانت كاترين

وفقاً لمنظمة الأمم المتحدة للعلوم والفنون والثقافة (اليونسكو)، بُني دير القديسة كاترين في جنوب شبه جزيرة سيناء، عند سفح جبل سيناء، ويدعونه "جبل حوريب" المذكور في العهد القديم عند حصول موسى على لوحة الوصايا، وما زال هذا الموقع محل تقديس المسلمين أيضاً ويدعونه "جبل موسى"، وقد صنف الدير "الدير المسيحي الأقدم الذي حافظ على وظيفته الأساسية" (موقع اليونيسكو، 2025). وبحسب التقاليد القبطية، وبعد بضع سنوات من اكتمال بناءه، رأى أحد الرهبان في نومه أن جثمان القديسة كاترين، التي استشهدت في الإسكندرية، قد نُقل بواسطة الملائكة إلى أعلى قمة في الجبال المحيطة (بالقرب من جبل موسى والذي يعرف حالياً باسم جبل كاترين). فصعد الرهبان الجبل في موكب، وعثروا على العظام، وأودعوها في كنيستهم، وبهذا اكتسبت مكانة إضافية وتبجيلاً لدى اليونانيين. ويبدو أن المؤسسات الرهبانية سرعان ما ازدادت بشكل ملحوظ في جميع أنحاء شبه الجزيرة. بُنيت أديرة صغيرة ومصليات ومساكن، لا تزال بقايا العديد منها ظاهرة، في أجزاء مختلفة منها، ويُقال إن جستنيان وهب شبه الجزيرة بأكملها للدير، وأنه في زمن الفتح الإسلامي، كان هناك ستة أو سبعة آلاف راهب وناسك متفرقين في الجبال. (فخري، 1982؛ Menely & Abde-Hakim, 2006).

يعد دير سانت كاترين من أقدم الأديرة في العالم المسيحي، إذ يعود تاريخه لأكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، وكانت سيناء قبل إنشاءه تعجّ بالنساك من مصر ومناطق أخرى من الإمبراطورية الرومانية، وفضّل الكثير منهم الإقامة في جبل موسى المقدس. وقد زارت الإمبراطورة هيلين (أو هيلانة)، زوجة قنسطنس ملك بيزنطة ووالدة الإمبراطور الروماني قسطنطين الأكبر وأول من اعتنق المسيحية من أباطرة الرومان، هذه المنطقة في القرن الرابع الميلادي (٣٢٧ م)، وأمرت ببناء كنيسة العليقة المشتعلة في المكان الذي كلم الله فيه نبيه موسى عليه السلام. وقد نالت شهرتها الأصلية كوجهة للحجاج لعرضها العليقة المشتعلة التي رآها موسى.

منذ القرن الرابع الميلادي لم ينعم الرهبان في سيناء بالاستقرار والهدوء، إذ كانت قبائل البدو الوثنيين بسيناء تسطو وتبطش بالمستوطنات الرهبانية من حين لآخر حتى بعد أن أصبحت المسيحية الدين الرسمي للإمبراطورية البيزنطية، لذا قرر الرهبان الذين كانوا يعيشون في جبل سيناء في النصف الأول من القرن السادس إرسال وفد إلى الإمبراطور البيزنطي جستنيان الأول (527-565 ميلاديًا) في القسطنطينية، يسردون له ما يحدث في حياتهم من اضطراب طالبين منه بناء دير لإيواء إخوانهم الرهبان المشتتين. واستجاب جستنيان، لطلبهم هذا على الفور، رغبة منه أن يُنظر إليه على أنه المدافع الأعظم عن الإيمان وأحد أعظم بناة العصور المسيحية القديمة (Attia, 1952). فأعاد الامبراطور بناء كنيسة العليقة وأدخلها ضمن كنيسته الكبرى التي أنشأها في منتصف القرن السادس الميلادي بين عامي 548 - 565 ميلادياً. وأطلق عليها اسم كنيسة القيامة، وبعد أن تم العثور على رفات القديسة كاترين في القرن التاسع الميلادي، أطلق على هذه الكنيسة اسم كنيسة التجلي وعلى الدير دير سانت كاترين. وهكذا ظهر الدير إلى الوجود عام 548 ميلادياً في موقعه الحالي حول كنيسة العليقة المشتعلة، وتم اكتماله فى القرن السادس وتحديداً عام 565 ميلاديًا، وكان الهدف من بناءه هو توحيد الإمبراطورية، وإرساء وتوطيد المبادئ الأرثوذكسية، وتأمين الحدود (ريحان، 2012).

وقد أمر الإمبراطور جستنيان بتحصين دير القديسة كاترين عام 550 ميلاديًا. كما زوّد الدير بمجموعة من الجنود العبيد البوسنيين لحمايته، والذين يُعتقد أنهم أسلاف قبيلة الجبالية التي كانت تسكن المنطقة. اعتنق هؤلاء البدو الإسلام لاحقًا، لكن ذريتهم لا تزال تحمل ملامح أوروبية، وبشرة بيضاء وعيونًا خضراء، وهم الخدم التقليديون وحماة الدير حتى اليوم، ومع ازدهار الحج، مُنح بدو سيناء مصدر دخل إضافيًا مهمًا: حماية الحجاج ونقلهم وإمداداتهم على طول طرق السفر الرئيسية في شبه الجزيرة. ويلتزم رهبان سانت كاترين بالمعاهدات المبرمة بهذا الشأن مع البدو، والتي يعود بعضها إلى عام 800 ميلادي (Khalil, 1998).

ولا عجب في أن دير سانت كاترين هو إحدى أعظم وأعرق المؤسسات الرهبانية في مصر. فقد حافظ دير القديسة كاترين على عدد هائل من الأيقونات القديمة التي نجت هناك على جبله المعزول عندما دمرت أيقونات أخرى في جميع أنحاء الإمبراطورية البيزنطية في القرن العاشر. وفي أعالي سيناء، ترك الحكم البيزنطي أثره الخالد في هذا الدير جوهرة لا يمكن للمسافر ولا للحاج المتدين أن يغفل عنها بوصفه أحد أغنى مستودعات الكنوز القديمة في العالم (Attia, 1952).

نظام الرهبنة المتبع في الديـــر

كان نظام الرهبنة، والذي يتبعه الرهبان الحاليين في دير سانت كاترين، هو النظام الذي وضعه القديس باسيليوس الكبير (32-279) وهو أحد تلاميذ الأنبا باخوم (290-345)، والذيأقام نظاماً خاصاً للرهبنة، وفيه ينذر الراهب التقشف عن نفسه مع العبادة والعمل المشترك سوياً، وكان أهم حدث في القرن الخامس عشر هو انفصال كل من كنيسة روما والقسطنطينية، إلا أن رهبان سانت كاترين ثبتوا على موقفهم مع كنائس أوروبا التابعة لروما. وظل الناس يرسلون الهدايا النفيسة إلى الدير الذي مازال الرهبان محتفظين بها من مختلف العصور (سلطان، 2015).

أصل تسمية الديـــر

عند تشييده كان الدير معروفاً باسم "دير العذراء أو القديسة مريم" نسبة لكنيسة العذراء مريم (كنيسة العليقة المقدسة حالياً) (Jullien, 1893)، التي قامت القديسة هيلانة بتشييدها وترجع إلى القرن الرابع، وبهذا تكون أقدم كنيسة في مكان الشجرة المقدسة المروي عنها في قصة سيدنا موسى. كما عرف الدير أيضاً بـ "دير الله المقدس لجبل سيناء: God-Trodden Mount Sinai" وكذلك "دير جبل الشريعة" إذ عليه تلقى نبي الله موسى عليه السلام ألواح شريعة بني اسرائيل، وكذلك عرف بـ "دير طور سيناء" نسبة إلى الجبل الذي ناجى موسى عليه السلام ربه من أعلاه. واستقر الاسم على "دير القديسة كاترين" أو "دير سانت كاترين" ابتداءاً من أواخر القرن العاشر ومطلع القرن الحادي عشر وحتى اليوم. كما عرف باليونانية Ιερά Αυτόνομος Βασιλική Μονή Αγίας Αικατερίνης του Αγίου και Θεοβαδίστου Όρους Σινά، (مختار، 1995؛ Helen, 2004؛ حلمي، 2012).

عمـــــارة الديـــــر

عند إنشائه في القرن السادس اتخذ دير سانت كاترين روح عصره فكان بناؤه الحالي مشابهاً للحصون الرومانية في القرون الوسطى محاطاً بسور خارجي مربع يمثل سور الحصن البالغ ارتفاعه ما بين 12 و15 متر والمبني على ارتفاع 14079 متر، وأسواره السفلية مشيدة من أحجار الجرانيت التي ترجع إلى فترة بناء الحصن الأول الذي أمر به الإمبراطور جيستنان لحماية رهبان الدير من بدو سيناء، وهذا ما يفسر تخطيطه بهذا الشكل. علاوة على أن للدير أسوار شاهقة وسميكة ذات أبراج في أركانها المختلفة. أما الأجزاء العليا من السور فهي مزودة بما يساعد على الدفاع عن الدير ضد من تسول له نفسه تحطيم الأبواب واقتحام المكان (سمية حسن، 1994؛ John, 1980).

وقد شهد النظام الدفاعي المعماري لدير سانت كاترين تطوراً كبيراً عبر العصور، ابتداءً من توسيع بعض فتحات المزاغل، التي كانت تستخدم سابقاً لقذف الأحجار الضخمة أو الماء أو الزيت الساخنين لاستقبال المدفعية لتحل محل السهام؛ مروراً باختلاف أشكال أبراجه الدفاعية الذي يبدو واضحا فى بعضها، خاصة برج سان جورج بمنتصف الجدار الشمالي والأبراج ذات الأقطار ثلاثة أرباع دائرة بالركن الشرقي. وانتهاءً بالتطور الذي شهدته الملحقات الداخلية للدير (حلمي، 2012).

ويقع مدخل الدير الأصلي في الناحية الشمالية وهو مسدود حالياً، بينما يوجد مدخل في الناحية الشرقية المعروف بـ "باب اليس" وهو مغلق من عام 1722، أما المدخل في الوقت الحالي فهو على مقربة من هذا الباب (سلطان، 2015).

ويحوي سور الدير من الداخل عدداً من المنشآت غير منتظمة الشكل تم إنشاءها على مستويات مختلفة في أزمنة مختلفة (Jullien, 1893) ، فمن مشتملات الدير مازلت الكنيسة الكبرى "كنيسة سانت كاترين" أو "كنيسة تجلي السيد المسيح" وإختصاراً "كنيسة التجلي" (شكل 7)، والتي يطلق عليها أحياناً "الكاتدرائية" أو "البازيلكا" ، شكل (8)، وقد أثبتت الأدلة الحالية أن "كنيسة العذراء" التي أسستها القديسة هيلانة هي ذاتها كنيسة جيستنيان الإمبراطور البيزنطي التي أنئت بأمره في منتصف القرن السادس الميلادي استناداً إلى الأشكال المعدنية والأعمدة والتأسيس والنقوش اليونانية التي نفشت فوق الباب وما تزال محفوظة على كتل الأخشاب التي سقفت

بها الكنيسة. وتقع الكنيسة في مكان موازي للجدران الخارجية من السور المحيط من الناحية الشمالي للدير وكانت مكان اجتماع الرهبان لتناول الطعام كما في العصور القديمة، وتضم 9 كنائس أصغر منها، إحداهن كنيسة العليقة المشتعلة (شكل 9)، التي ورد أن الله تكلم منها مع النبي موسى. وقد صممت على شكل البازيليكا الرومانية ذات الثلاثة أروقة والسقف الخشبي، والأعمدة من البازلت والتيجان المنحوتة المستوحاة من الطراز الكورنثي. وهذا الشكل كان شائعاً وقت بنائها عام 527 ميلادياً. وبداخل هذه الكنيسة صفان من الأعمدة البازلتية مجموعهما 12 عمود يمثلون شهور السنة- ربما يمثلون عدد تلاميذ السيد المسيح- وعلى كل جانب يوجد 4 هياكل يحمل كل منهم اسم أحد القديسين، وفي صدر كنيسة التجلي حنية مستديرة محلاة من السقف ومن الجوانب بالفسيفساء يوجد تحتها تابوت خشبي يضم بقايا جثمان القديسة كاترين داخل صندوقين من الفضة ومنقوش عليه بنقوش رائعة (سلطان، 2015؛ عمار 1946).

وتتمثل باقي أبنية الدير في الكنيسة الصغيرة "كنيسة الموتى" (Bassili,1957) التي شيدت فوق جبل موسى، وأطلق عليها هذا الاسم لكونها حجرة لحفظ جماجم الموتى خلف كنيسة الدير الرئيسية وبجوار كنيسة العليقة المشتعلة، التي قيل إن باني الدير إنما بنى هيكل هذه الكنيسة في هذه البقعة إلا للتبرك بها، نظراً لأنها مكان شجرة العليقة المقدسة (شكل 10)، التي كلم الله سبحانه وتعالى عندها نبيه موسى وأمره أن يخلع نعليه لأنه في المكان المقدس (سلطان، 2015؛ شقير، 1995). وأصل هذه الشجرة ثابت داخل كنيسة العليقة بينما تمتد أغصانها للخارج من طاقة في جدارها الشرقي (Louis de Tesson, 1862).

ومما يعزز من أهمية دير سانت كاترين كموقع ديني وتاريخي معاً وجود مقام النبي هارون بالقرب من جبل موسى في جنوب سيناء، (شكل 11)، وبحسب ريحان (2012)فهذا المقام هو مشهد رؤية وليس قبراً حقيقياً؛ إذ لا يحتوي على رفات النبي هارون عليه السلام وإنما يشير إلى وفاة النبي هارون في سيناء خلال فترة تيه بني اسرائيل (ريحان، 2012)

أما مكتبة الدير فتعتبر من أعظم المكتبات التي شيدت في ستينيات القرن الماضي (شكل 12)، (شكل 13)، وقديماً كانت المكتبة تستخدم كمجلس للرهبان. وتشغل المكتبة كامل الجدار الجنوبي للسورالجوستنيانى وهي مخصصة لحفظ كتب الدير ووثائقه. تقع المكتبة في الطابق الثالث من بناء قديم جنوب الكنيسة الكبرى، وهي تتكون من 3 غرف متراصة في صف واحد، والوسطى ذات أرضية مكسية بالرخام (حلمي، 2012). تضم المكتبة العديد من المخطوطات النادرة جداً[2] (عيسى، 2019) والبالغ عددها حوالي 3500 مخطوطة، تتراوح ما بين مخطوطات دينية وتاريخية وجغرافية، وبالمكتبة عدد كبير من الوثائق والفرمانات التي منحها الخلفاء والحكام لمن كانوا في الدير. إضافة إلى 3000 كتاباً دينياً وأدبياً وتاريخياً، سواء كان خطياً أو مطبوعاً، مكتوبً باللغات اليونانية والعربية والسريانية والعبرانية والأرمينية والحبشية والقبطية والفارسية والروسية واللاتينية. ويُقال عنها أنها المكتبة الثانية في العالم من حيث القيمة التاريخية للأناجيل الموجودة بها، ومنها الإنجيل السرياني المعروف "بالمست"، والذي يعد أقدم نسخة معروفة للإنجيل باللغة السريانية وهذا الإنجيل مكتوب على رق غزال، ويُظن أنه مترجم عن أصل يوناني في القرن الثاني للمسيح عيسى عليه السلام، كما توجد نسخة من الكتاب المقدس باللاتينة يعود تاريخها إلى القرن الخامس (شقير، 1995؛ سلطان، 2015).

وفي عام 1951 أنشأ الملك فاروق الأول (1920- 1965) مبنى ملاصق للجدار الجنوبي للدير، الذي يضم حالياً مكتبة جديدة للمخطوطات القديمة (شكل 14) ومكتبة للمطبوعات القديمة (Shams, 2011).

---

[2] قامت أوائل عام 1950، بعثة مصرية أمريكية لتصوير مخطوطات دير سانت كاترين بسيناء. وجد بالدير أقدم مخطوطتين ترجعان إلى القرنين الثالث والرابع الهجري " المخطوطة الأولى نسخة من الاناجيل الأربعة: متى ومرقس ولوقا ويوحنا، مكتوبة بالخط الكوفي بتاريخ محرم سنة 284 وهي مجلدة ومكتوبة بالحبر الأحمر والأسود، والمخطوطة الثانية كذلك من أربعة أناجيل مكتوبة بالخط الكوفي بتاريخ ذي القعدة سنة 392، كما وجد أحمد محمد عيسى سنة 1956حجج شرعية وهي مجموعة من الحجج الشرعية وهي في ذاتها دراسة طريفة للتعامل بين الناس، وهناك الصيغ المستخدمة في تحرير العقود من العصر الفاطمي الى العصر العثماني، وهذه الحجج =مكتوبة على الورق بتعدد احجامه، وهناك رسوم ذات طابع إسلامي: ويلاحظ ان الرسوم التي تزين المخطوطات اليونانية ذات طابع إسلامي ومن هذا نستطيع ان نحدد العصر الذي كتب فيه المخطوط.، وهناك مخطوطات مغسولة، وهذا من الأمور المعروفة في العصور السابقة، أي التجاء البعض الى غسل المخطوطات وإعادة الكتابة عليها ولا يكون ذلك ميسوراً إلا حين يكون النص القديم مكتوبا على الورق، ويوجد بالدير مخطوطات كثيرة من هذا النوع.

يوجد أيضا حشو جلود الكتب بالبردى: اكتشف الدكتور جاريت احد أعضاء البعثة ان واحدا من المجلدات الضخمة حشيت جلدته السميكة بطبقات من ورق البردى ذات الكتابات وتحمل توقيعات (الخليفة الفاطمي الفائز، و سلاطين المماليك: السلطان قطز، السلطان بيبرس، السلطان قلاوون، السلطان حسن، السلطان محمود شيخ، السلطان قايتباى، وأيضاً توقيع جانى بك)، وكتب المخطوطات التي تضمها = الديربلغات متعددة منها اليونانية، ثم العربية والسريانية والجورجية والتركية والسلافية والقبطية والحبشية وهذا يدل على تعدد القوميات التي عاشت داخل الدير.

ويوجد مسجد الوادي المقدس داخل دير سانت كاترين (شكل 15)، وهو أول المساجد في سيناء، وقد شيد في القرن الحادي عشر الميلادي، وتحديداً في عام 500 هـ/1106م، على يد الفاطميين تنفيذاً لرغبة الوزير أبو النصر أنوشطاقين في بناء المساجد في الأماكن المقدسة - بحسب ما هو مذكور على المنبر- في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور (1101-1130) سابع الخلفاء الفاطميين، لذا أطلق عليه "مسجد الحاكم". ويقع هذا المسجد الصغير في الجزء الشمالي الغربي داخل الدير مواجهاً للكنيسة الكبرى ويعلوها بحوالي 10 أمتار بحيث تتعانق مئذنته مع برج الكنيسة، هذا التعانق يجسد الوحدة التي تجمع الأديان في بوتقة واحدة، كما يعكس تسامحاً وتداخلاً تاريخياً فريداً بين الأديان في هذا الموقع المقدس. والمسجد مستطيل الشكل أبعاد واجهته الجنوبية 9.88 متر، والشمالية 10.28 متر، والشرقية 7.37 متر، والغربية 7.06 متر، كما يبلغ ارتفاعه من الداخل 5.66 متر. أما عن تصميمه الداخلي فهو عبارة عن حجرة واحدة من اللبن والحجر الجرانيتي، بسيط الطراز، تنقسم إلى ستة أجزاء بواسطة عقود نصف دائرية؛ ثلاثة عقود موازية لجدار القبلة وأربعة متعامدة عليه ، وله ثلاثة محاريب حجرية ، الرئيسي منحوت في الجدار الذي يشير إلى القبلة (محراب القبلة) متوج بعقد ذو أربعة مراكز كالموجود في الجزء القديم من الجامع الأزهر ، وبالمسجد منبر خشبي آية في الجمال فيعد أحد ثلاثة منابر خشبية كاملة من العصر الفاطمي: الأول منبر جامع الحسن بن صالح بالبهنسا بمحافظة المنيا، والثاني منبر الجامع العمرى بقوص. وهو يشبه المنبر الخشبي بمسجد بدر الدين الجمالي الذي يعود تاريخه إلى 484هـ /1091م والمنقول من عسقلان إلى الحرم الإبراهيمي بفلسطين، وسقف المسجد من الخشب محمول على عمودين اثنين وفوقه مئذنة جميلة ترتفع عشرة أمتار تتكون من دورتين قطاعهما مربع، وهي المئذنة التي تعانق برج كنيسة التجلي في منظر لا يتكرر، ولن يتكرر، إلا على أرض مصر (Darwish, 2022؛ سلطان، 2015؛ عيسى، 1956). ومن مقتنيات المسجد تتواجد قطعتان أثريتان من العصر الفاطمي أحدهما المصحف الشريف والأخرى مبخرة المسجد (سلطان، 2015).

وهناك مخطوط في الدير يدل على أن مسجد الوادي المقدس قد بني في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (شكل 16) وينص على: "*بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير. نصر من الله وفتح قريب. لعبد الله ووليه أبي علي المنصور الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المستنصرين. أمر بإنشاء هذا المنبر السيد الأجل الأفضل أمير الحرمين سيف الاسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي رعاة المؤمنين أبو القاسم شاهنشاه عضد الله به الدين وامتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلا كلمته وذلك في شهر ربيع الأول سنة خمس ميه أثق بالله*" (شقير، 1995).

متحف الديـــر

يقسم المتحف إلى عدة قاعات منها ما هو مخصص للأيقونات المسيحية القديمة، كأيقونات القديسة كاترين التي تعود إلى فترات مختلفة، وأيقونة السيدة العذراء وهي تحمل السيد المسيح القرن السادس الميلادي، ومنها ما هو مخصص للذخائر المستخدمة في الدفاع عن الدير. كما يضم المتحف قاعات للمخطوطات إحداهن تحوي نسخة الإنجيل السرياني يعود تاريخها إلى القرن الرابع الميلادي، وقانون الرهبان بالسريانية المكتوب على رق غزال الذي ينظم حياة الرهبنة القرن الحادي عشر الميلادي. وأهم مقتنيات المتحف هو تابوت سانت كاترين وفيه وضع رهبان سيناء رفات القديسة كاترين، وكان آنذاك مصنوعاً من الرخام في ورشة بالقدس في منتصف القرن الثانى عشر واستمر فيه حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي (سلطان، 2015؛ Shams, 2011؛ Brosset, 1858).

وعن المقتنيات الفنية في الدير تتواجد تشكيلة من القطع الفنية التي تعكس التأثيرات الفنية من مختلف البلدان الأوروبية، وتشمل 27 كأسا من الفضة المموهة بالذهب منقو ش عليها عبارة " شارل السادس ملك الفرنجة صلوا من أجلي" كإهداء من شارل السادس ملك فرنسا"1380– 1422"م، وقطعة من النسيج من روسيا تمثل النبي موسى وشجرة العليقة والدير وهي مطرزة بخيوط الذهب والفضة ترجع للقرن الثامن عشر الميلادي، وقطعة معدنية من رومانيا على شكل غطاء من الفضة والاربع أناجيل مزخرف بالحفر والحز والطرق، ومؤرخ "-1568 1577"م من قبل الأمير الروسي الكسندر الثاني ميرسيا. وقد أجريت العديد من الترميمات نتيجة نزول السيول من جبل الدير. ومؤخراً، كان هناك التعاون الدولي المثمر مع الإتحاد الأوروبي في الفترة 2008 - 2010 م، والخاص بأعمال ترميم أسوار الدير والمنطقة المحيطة به وتطويرهم، وكذلك التنسيق مع المجلس الدولي للمتاحف "ICOM" لإدارة المنطقة تحت قيادة اللجنة الوطنية المصرية للمجلس الدولي للمتاحف (حلمي، 2012).

تاريخ الحملة الفرنسية في مصر

كانت – وما زالت مصر هدفا لكل من داعبت أحلامه تحقيق (السيطرة العالمية)، بدءاً من الاسكندر الأكبر وحتى (السلام البريطاني) الذي سعت لتحقيقه الإمبراطورية البريطانية، وخلال كل هذه المراحل الزمنية كان القانون يعمل بمبدأ أن الاستيلاء على المنطقة الغربية يبدأ بالاستيلاء على مصر، وقد أعلن نابليون[3] (Lockhart, 2022) في كلمات لا تنقصها الصراحة: (إن المجد يصنع بالاستيلاء على الشرق، ومن يرغب في الاستيلاء لابد له من الاستيلاء على مصر، فمصر هي مفتاح العالم..) ولم تفت هذه الكلمات اللورد كرومر فقدم بها كتابه عن مصر. وقد جاء على لسان شيخ المؤرخين الجبرتي، واصفاً وصول الحملة الفرنسية إلى مصر، ما نصه "أولى سنين الملاحم العظيمة والحوادث الجسيمة، والوقائع النازلة، والنوازل الهائلة، وتضاعف الشرور، وترادف الأمور، وتوالي المحن، واختلاف الزمن، وانعكاس المطبوع، وانقلاب الموضوع، وتتابع الاهوال، واختلاف الأحوال، وفساد التدبير، وحصول التدمير، وعموم الخراب، وتواتر الأسباب، وما كان ربك مهلك القرى وأهلها مصلحون.." وبهذه الكلمات بدأ سرد تفاصيل الحملة (الهلال، 1982).

عاد نابليون إلى مصر بعد اخفاق حملته على سوريا فأراد أن يستر هزيمته بدخوله القاهرة دخول الظافر المنتصر ليؤثر في نفسية الشعب ويشعره بقوته. وكان له ما أراد، فقد أحاط نابليون دخوله القاهرة بمظاهر النصر والظفر، ففي 12 يونية 1799، بدأت طلائع الجيش الفرنسي تدخل المدينة ومعها جماعة من الأسرى الأتراك ذوي المكانة وعدد من الرايات التي غنمها أثناء الحملة. ويذكر المسيو جومار (عضو المجمع العلمي) أنه شهد هذا الموكب ورأى مرور الجنود متواصلا طول النهار لأن نابليون كان قد أمر بأن تدخل الجنود المدينة من باب وتخرج من باب آخر ثم تعود فتدخل المدينة ثانيا من الباب الأول لتؤثر في نفسية الشعب الذي كان يتحرش بالفرنسيين أثناء حصار عكا (الرافعي، 2000).

كما روى الجبرتي أن الموكب استمر خمس ساعات متوالية يسير في شوارع القاهرة إلى ان وصل إلى القيادة العليا في الأزبكية (الهلال، 1982). وإذا ما نظرنا إلى ما قبل قدوم الحملة الفرنسية على مصر[4] بقيادة نابليون بونابرت (حسين، 1981؛ البكري، 2016) لوجدنا أن سيناء قد حظيت باهتمام خلال العصور المختلفة التي مرت بمصر بدءاً منذ الحضارة المصرية القديمة، مروراً بالعصور الوسطى والعصر العثماني وحتى قدوم حملة بونابرت. ومنذ قدوم الحملة الفرنسية برزت أهمية سيناء الاستراتيجية والدفاعية. وقد علت مكانتها مع إحياء فكرة شق قناة بين البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى حكم محمد علي عام 1805، وما زال الإهتمام بها مستمراً حتى الوقت الحديث والمعاصر (الهيئة العامة للاستعلامات، 2016).

الحملة الفرنسية في سينـــــاء

تُعد الحملة الفرنسية على مصر عام 1798 بقيادة نابليون بونابرت (1798-1804)[5] (هويه، 2005 ; Thibaudeau, A., 1828)) الحد الفاصل في تاريخ مصر الحديث، وبالتأكيد تركت أثراً واضحاً على وضع

---

[3] وُلِد نابليون بونابرت في أجاسيو في 15من أغسطس عام ١٧٦٩. كانت عائلته ذات مكانة مرموقة خلال العصور الوسطى في إيطاليا؛ ومن ثم انتقل فرعها إلى كورسيكا في الأوقات العصيبة التي عاش فيها الغويلفيون والجيبيليون. لطالما اعتُبروا من طبقة النبلاء في الجزيرة. تزوج تشارلز، والد نابليون، وهو محامٍ ذو سمعة طيبة، من والدته، ليتيتيا راموليني، التي انجبت 13 عشر طفلا، وأصبحت أرملة عندما بلغت الثلاثين من عمرها. وكان نابليون الطفل الثاني لهما، ولا يَعرف شيئًا عن طفولته سوى اعترافه الدائم بالامتنان لحكمة والدته وفطنتها وكان تفوقه واضحًا منذ البداية. يقول السيد بوريان، الذي بدأت صداقته به مبكرًا: "كان بونابرت ملحوظًا في برين ببشرته الإيطالية، ونظرته الحادة، ونبرة حديثه مع السادة والرفاق. كان هناك دائمًا تقريبًا نفحة من المرارة في كلامه. لم يكن لديه سوى القليل من الطبع الذي يؤدي إلى التعلق؛ وهو ما لا أستطيع أن أعزوه إلا إلى مصائب عائلته منذ ولادته، والانطباع الذي تركه غزو بلاده على سنواته الأولى."

[4] لم تكن فكرة الغزو الفرنسي لمصر وليد العصور الحديثة بل كانت وليد العصور الوسطى، من خلال الحروب الصليبية على مصر وعدم تحقيق الحملة الفرنسية أهدافها بقيادة الملك لويس التاسع، ثم تجددت الفكرة الى ما قبل الثورة الفرنسية الى زمن الملك لويس الرابع عشر، الذى عرض عليه لابينز وهو فيلسوف وعالم المانى، عدم محاربة أوروبا المسيحية وقدم مشروعا لغزو مصر قائلاً "هذا هو أضخم مشروع يمكن تصوره والأكثر سهولة في تنفيذه، إن مصر من بين جميع بقاع الأرض هي الأفضل موقعا من اجل السيطرة على = الدنيا وعلى البحار وانها خالية من أي دفاع ولا تنتظر سوى وصول جيش تحرير لكى تنهض"، وكان لابينز يرى أن استيلاء فرنسا على مصر يمكنها القضاء على نفوذ هولندا التجاري في جزر الهند الشرقية ، وتحويل هذه الجزر الى طريق مصر لمصلحة فرنسا، ويقول سارتين، وزير البحرية في مجلس الوزراء "ان احتلال مصر هو الطريقة الوحيدة لحفظ تجارتنا في البحر المتوسط وإقامة السيطرة على البحر الأحمر وأيضاً استطاعة الهجوم على إنجلترا".

[5] نجحت فرنسا في العصر الحديث في تكوين امبراطورتين استعماريتين ؛ بدأت الامبراطورية الأولى في أعقاب الكشوف الجغرافية ، وتقوضت أركانها إثر حروب بونابرت في أوروبا، وكان الميدان الرئيسي لهذه الإمبراطورية هو مناطق العالم الجديد (كندا)، وجزر الكاريبي، والهند، وجزيرتي: موريشيوس (أيل دي فرانس)، وريونيون (بوربون) عند مدخل المحيط الهندي، واللتان

مصر[6] في بؤر الاهتمام الأوربية (قسمية، 2018)، كما تركت في ذات الوقت آثاراً على المجتمع المصري نفسه[7] (لورنس وآخرون، 1995). ولكن ما يهمنا هو وضع سيناء خلال السنوات القلائل التي قضتها الحملة الفرنسية في مصر، وما تخللتها من معارك وقعت على أرض سيناء بين القوات العثمانية والفرنسية، ومدي التأثير الذي تركته عليها.

وكان عشرات من العلماء، من خلفيات علمية مختلفة، يزورون الدير الى جانب الحجاج في الفترة ما بين عام 1336 والنصف الأول من القرن العشرين الميلادي (فترة الرحالة) كان هؤلاء العلماء باحثين في الكتاب المقدس، مؤرخين، علماء، جغرافيين، جيولوجيين، علماء نبات، علماء طبيعة، فنانين.(Lenoir, 1872) ، مما يشير الاهتمام المتزايد بالدير، والذي بلغ ذروته في القرن التاسع عشر الميلادي. وعلى مدى 700 عام (فترة الرحالة) منح الدير أمناء اخرون من قبل السلطان العثماني مصطفى خان الأول (1617-1618)، وجمهورية فرنسا نابليون بونابرت (1798- 1801)، والسلطان عبد الحميد في 23 ديسمبر 1904، كفل هؤلاء الأمناء أمن الخزانة (Shams, 2011).

قام علماء الحملة الفرنسية بزيارة سيناء وتحديداً دير سانت كاترين، وهو الثابت في كتاب موسوعة (وصف مصر)، تحت عنوان "العرب في ريف مصر وصحراواتها"، وتعتبر هذه الزيارة الدراسة الرابعة للحملة التي تحمل عنوانا "ثمانية وعشرون يوما في سيناء"، ولكن الدراسة في الأساس كانت تحمل عنوانا أصلياً هو: ملاحظات حول طبوغرافية سيناء.. التقاليد، العادات، الصناعة، التجارة، الشعب والسكان. (وصف مصر، الجزء الثاني، الدراسة الرابعة).

صعد علماء الحملة الى جبل سانت كاترين وصحبهم أحد الرهبان وراوا هناك صخرة من الجرانيت هي موضع تقديس من جانب المسيحيين، وقد قام أحد الرهبان بشرح قصة هذا التقديس حيث وجدوا على هذه الصخرة رفات لفتاة فأخبروا أحد الرهبان بالأمر وذهب الجميع للتعرف على الجثمان وأقروا بانه جثمان لشهيدة وانه لابد أن يكون جثمان القديسة كاترين، ثم نقل الرهبان ما تبقى من الجثمان لكنيسة التجلي بالدير ووضعت بقايا القديسة في صندوق ذهبي بمذبح الكنيسة (ريحان، 2012).

استطاعتالحملة وصف منطقة طور سيناء، بجبالها والدير المنشأة فيها وصفاً دقيقاً استناداً على زيارتهم للدير في اليوم السابع عشر وحتى اليوم التاسع عشر من ديسمبر عام 1799، والتي التقى خلالها جنرالات الحملة برهبان الدير، الذين قاموا بإعداد جولة للجنرالات داخل الدير والجبال المحيطة به. ويروي المسيو روزيير، أحد جنرالات الحملة "عندما وصلنا إلى دير سنت كاترين، كان أحد الأخوين المصاحبين لنا قد سلك طريقاً قصيراً يؤدى إلى مكان منعزل ذو منفذ صغير يعلو الجدران البالغ ارتفاعها من 10 – 12 متراً، وهذا المنفذ هو المدخل الوحيد لذلك المكان المنعزل ويُغطى ببكرة يمر فوقها حبل ضخم يلتف حول أسطوانة مثبتة في شبه ردهة وينزل من الحبل الذي ينتهي بحلقة من الحبال يدخل فيها الشخص الذي يراد رفعه وتدار الأسطوانة بواسطة روافع متشابكة على غرار المستخدمة في الموانئ لإنزال الأحجار من فوق السفن". ويبدوا في وصف الدير أنه يقع عند سفح جبل حوريب، كما يُلاحظ عند دخوله عدم انتظام سطح الأرض المقام فوقها. ويتكون الدير من عدد كبير من المباني غير المنتظمة المقامة على مستويات مختلفة؛ فهو يضم كنيسة مكرسة لسانت كاترين، و26 كنيسة أخرى لها نفس العدد من المشرفين، ومسجداً، ومسارب بسيطة تتصل بدهاليز خارجية ومغطاة بالخشب، إلى جانب بعض المصانع اليدوية لصنع الأشياء الضرورية لحياة رجال الدين ولصيانة الدير. ويقيم في هذا " السجن المقدس" ستة من رجال الدين واثنان وعشرون راهباً. وتتكون الكنيسة من أجنحة ثلاثة تفصلها عن بعضها البعض عواميد من الجرانيت تحمل سقفاً خشبياً مطلياً بلون أزرق بالغ الجمال تتناثر فيها النجوم الذهبية،

اتخذت منهما فرنسا قاعدتي ارتكاز نحو الشرق. أما الإمبراطورية الاستعمارية الثانية فقد بدأت بغزو الجزائر، ثم اتسع المشروع الاستعماري الفرنسي في عهد الإمبراطورية الثانية ونابليون الثالث، حتى اكتمل في عهد الجمهورية الثالثة، وكان الميدان الرئيسي لهذا المشروع هو قارتي اسيا وافريقيا.

[6] أثرت الحملة الفرنسية على المصريين سواء بطريقة مباشرة او غير مباشرة حيث تركت مجموعة من التأثيرات العلمية والثقافية بطريقة ملموسة وأخرى محسوسة.

[7] إن بونابرت، وهو أيديولوجي حقيقي، قد حرص على ان يصحب معه علماء ومهندسين ، ومبرراته لذلك عديدة: فالتعلق النزيه الذى يبديه تجاه العلوم يعود عليه بقدر كبير من العطف من جانب جماعة الايديولوجيين البالغة الأهمية، ومع رغبة الفاتح في الهيمنة على العالم ، تتطابق في مجال العلوم رغبة توحيد كافة المعارف في معرفة موحدة. ومجد الرجل العظيم إنما يستند أيضا الى العلماء والفنانين والكتاب الذين يحشدهم حوله، والحال أن بونابرت يريد أن يقدم نفسه إعتمادا على قوة المفاهيم الجديدة بوصفه البطل نصير الحضارة بامتياز، وبرنامجه الخاص بالحضارة التي تواصل مسيرتها إنما يتأسس على الفكرة المستعادة بلا ملل والتي تتمثل في أن حملة مصر تشكل عودة العلوم والفنون إلى وطنها الأصلي.

وتغلق المحراب قطع من الخشب ، أما المذبح فمزين بزخارف حرشفية تشبه جلد السمك مطعمة بالصدف ومشغولة بشكل بالغ الجودة ، أما المنبر فمن الرخام غير أن كرسي المطران مصنوع من الخشب المنقوش والمذهب ويزدان القاع بلوحة منقوشة على الخشب نرى فيها تفاصيل بالغة الدقة للدير، وتغطى الجدران لوحات باهتة مرسومة فوق الخشب ، أما البلاط فمن الرخام والجرانيت ، أما السلم فيتخذ شكلا حلزونيا . وتجدر الإشارة هنا إلى خلو الدير من أي جرس وبالتالي ينادى هناك على الصلاة وعلى بقية الممارسات الدينية بواسطة بيزر (مطرقة ذات رأسين) على لوحة طويلة من الزان مغلقة أفقياً من الطرفين. أما جدران السور فمسننة الشكل بها استحكامات بارزة ذات زوايا أربع تحمل كوان تغطي قطعاً صغيرةً من السلاح تطلق قذائف من زنة الرطلين، لكن هذه المدافع لم تنطلق أبداً إلا لكي تحدث ضجيجا في الجبل (وصف مصر الجزء الثاني).

كانت بداية الاتصال بين الحملة وسيناء يدور في إطار الأطماع التوسعية لنابليون بونابرت عقب دخوله مصر، فقد كان يطمح في فتح الشام، ومن ثم كان لابد من استطلاع مناطق الحدود مع الشام. وفي العام التالي للحملة على مصر، وجَّه نابليون بونابرت حملة إلى الشام عبر الطريق الحربي شمال سيناء، ولكن القوات العثمانية كانت السابقة لملاقاته واستولت، بقيادة أحمد باشا الجزار والي عكا، على قلعة العريش وتمركزت فيها (الرافعي، 1981)، ثم دارت على أرض سيناء معركة كبرى، تحولت فيها من أرض مرور الجيوش إلى ساحة معارك، وواجهت القوات الفرنسية مقاومة عنيفة من بدو سيناء ومن أهل مدينة العريش، تلتها مقاومة من القوات العثمانية في القلعة. وبعد حصار دام لنحو عشرة أيام، تمكن الفرنسيون من الاستيلاء على العريش، واعتبروه نصرًا هائلًا وأعلنوه في الأزهر. وفي ديسمبر 1798 استعد نابليون للزحف على الشام عن طريق سيناء وأمر الجنرال (لوجرانج) من فرقة القائد رينيه باستطلاع إحدى القلاع الهامة للتمركز في قاطيه إحدى القلاع الهامة في سيناء (مصطفى، 2018).

وفي فبراير 1799، غادرت قوات كليبر، القائد الفرنسي الذي تولى القيادة بعد رينيه، مدينة قاطيه. وعند وصول نابليون إلى مدينة العريش واجهته صعوبات لا حصر لها عند مهاجمة قلعتها، والتي تعتبر إحدى القلاع الهامة والمحصنة هناك، وعلى رأسها المقاومة الباسلة التي واجهها الفرنسيون من أبناء مدينة العريش وقلعتها. وجاء في تاريخ الجبرتي أن بونابرت سر عسكر الفرنساوية استولى على مدينة العريش في توجهه إلى الشام وكان فيهم جملة من المماليك ونحو ألف عسكري من المغاربة والأرنووط فحضر إليهم الفرنسيس الذين كانوا في المقدمة في 5 فبراير 1799 وأحاطوا بالقلعة ووقع القتال بين الفريقين واستمر من بالقلعة يدافعون عن أنفسهم إلى أن حضر بونابرت بجيوشه بعد ستة أيام فاشتد الحصار فأرسل من بالعريش إلى غزة يستنصرون بهم فأرسلوا لهم نحو السبعمائة عسكري وعليهم قاسم بك أمير البحرين فلم يتمكنوا من الوصول إلى القلعة لتلحق الفرنساوية بها وأحاطتهم حولها فنزلوا قريبا منها فكبسهم عسكر الفرنسيس بالليل فاستشهد قاسم بك وجماعته وانهزم الباقون. ولم يزل أهل القلعة يحاربون إلى أن فرغ منهم البارود والذخيرة فطلبوا عند ذلك الأمان فأمنوهم وذلك بعد حصار أربعة عشر يوماً (شقير، 1995).

وعلى الجانب الآخر، شهدت أرض سيناء والعريش المفاوضات بين الفرنسيين والعثمانيين، وكان ذلك في معسكر الصدر الأعظم بمدينة العريش، بعد فشل الحملة في فتح الشام بسبب إرهاقهم في الحرب، إلى أن تم التوقيع على معاهدة العريش في 28 يناير عام 1800، والتي كانت لبنة مهمة في خروج الفرنسيين. وهنا يتضح أن الحملة الفرنسية هي من أبرزت من جديد أهمية سيناء الاستراتيجية والدفاعية والدينية. (الهلال، 1982)

الحملـة والديـــر

قبل الحملة الفرنسية بقرون، كان لدير سانت كاترين تحصيناته وأبراجه منذ القرن السادس الميلادي. ولما جاءت الحملة إلى مصر زاد اهتمامها بتحصين بعض مواقعها الاستراتيجية في سيناء، بما في ذلك ترميم أجزاء من الدير لحماية خطوط الإمداد. وقد حظي دير سانت كاترين ورهبان الدير بالعديد من المزايا والامتيازات، ونقلاً عن دكتور جون اندرو مورو في مقالة له خلال شهر يناير عام 2015 تحت عنوان: "العهدة المحمدية لرهبان طور سيناء: المسائل التاريخية والأصالة والموثوقية." وفي تقاليد الرهبان، فإن العهدة النبوية هي كتاب العهد الذي كتبه محمد لرهبان سيناء. وهذه الوثيقة مكتوبة بخط يد الإمام علي (كرم الله وجهه) خلال السنة الرابعة من الهجرة (شكل 17)، أي حوالي عام 625 ميلادياً، وبافتراض إمكانية أن يكون هذا التاريخ منسوب لاحقاً.

فمن الممكن أن تكون الوثيقة قد صدرت أو أعيد إصدارها خلال عام الوفود الذي وقع حوالي عام 630 ميلادياً. لم يقتصر الأمر على رهبان دير سانت كاترين الذين حافظوا على صحتها باستمرار منذ الأيام الأولى للإسلام، بل فعل ذلك أيضا عرب جباليا في سيناء. على الرغم من أن التقاليد الإسلامية قد انتقلت بشكل حصري تقريبا

من قبل المسلمين إلا أن هذه إحدى الحالات النادرة التي نقل فيها السنة والحديث على التوالي من قبل كل من المسلمين والمسيحيين.[8] (Morrow, 2013)

ووصف بن كثير، عالم الحديث والمفسر القرآني والفقيه والمؤرخ، الوثيقة كما رواها في كتابه قصص الأنبياء مع إعادة صياغة كل مادة على حدة، ما نصه: "في هذا الوقت (أي بعد صلح الحديبية) منح النبي رهبان دير القديسة كاترين، بالقرب من جبل سيناء، ميثاقه السخي الذي ضمنوا بموجبه للمسيحيين امتيازات وحصانات نبيلة وسخية، والذي يطلق عليه "أشتينام" Ashtiname وهي كلمة فارسية تعني "كتاب السلام" أو "رسالة المصالحة". وقد تعهد محمد بذاته وأمر أتباعه من المسلمين بحماية المسيحيين والدفاع عن كنائسهم ومساكن كهنتهم وحمايتهم من كل أذى. وبموجب الوثيقة، فإنه " ليس من المفترض أن يتم فرض ضرائب غير عادلة عليهم، ولا أن يطرد أي أسقف من أبرشيته، ولا أن يجبر أي مسيحي على الارتداد عن دينه، ولا أن يطرد أي راهب من ديره، ولا أن يمنع أي حاج من أداء الحج، ولا أن يهدم الكنائس المسيحية أثناء بناء مساجد للمسلمين أو منازلهم. لكن كان من المفترض أن تُترك النساء المسيحيات المتزوجات من مسلمين على دينهن ولا يخضعن لتغييره بالإكراه أو بالمضايقة بأي شكل. وإذا ما احتاج المسيحيون إلى مساعدة لإصلاح كنائسهم أو أديرتهم أو أي مسالة أخرى تتعلق بدينهم، فعلى المسلمين مساعدتهم. ولا يعد هذا دعماً لدينهم، بل مساعدة لهم في ظروف خاصة ليس إلا. وإذا ما اشتبك المسلمون مع مسيحيين، خارج مصر، فلا يجوز معاملة أي مسيحي مقيم بين المسلمين في مصر بازدراء بسبب عقيدته. وقد أعلن النبي أن من يخالف أي بند من بنود الميثاق من المسلمين فإنه يكون بذلك مخالفاً لأوامر الله، ومنتهكاً لما وصى به، ومتجاهلاً لأصول دينه" (Morrow, 2013؛ (Meistermann, 1909a

تناولت دراسة Ratliff (2008) العلاقات التاريخية للدير مع الجهات الإسلامية في اشارة إلى الأشتينام. كما أجرى Sanni (2015) مراجعة نقدية لتقييم كل ما جمعه مورو وتحليله لعهود النبي ﷺ مع رهبان طور سيناء. في حين ركز El-Wakil (2016) على دراسة تحليلية للتحقق من صحة العهد، باستخدام منهجياتٍ قابلة للتطبيق لتحليل عهود النبي محمد (ﷺ). وكتب Morrow (2019) مقالٌ تحت عنوان "عهود النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) لا تزال تُثير الجدل" لمناقشة الجدل الدائر حول صحة عهود النبي (ﷺ) وأهميتها، بما في ذلك عهود النبي مع رهبان سيناء.

وعند النظر إلى ما قبل قدوم العثمانيين، نجد أن أصل المرسوم النبوي كان محفوظا في دير القديسة كاترين، وجرى تجديد لهذه الوثيقة المصدرية الأصلية في عهد الفاطميين والأيوبيين والمماليك، واستمر ذلك إلى أن قام السلطان سليم الأول بغزو مصر سنة 1517وأخذ معه الوثيقة الاصلية تاركاً نسخةً منها للدير موقعةً منه ومضافاً اليها ما نصه "هذا العهد الذي وضع النبي عليه ختمه، مودع في خزانة السلطان، وهو مكتوب على قطعة جلد من الطائف، تبارك وتعالى" مع ترجمتها بالتركية، وتضم مكتبة الدير نسخاً منها بعضها على رق غزال وبعضها على ورق متين وبعضها في دفتر خاص ، وقد أدى الغزو الفرنسي لمصر في أواخر القرن الثامن عشر إلى احتكاك المزيد من القادة واللغوين والمستشرقين الفرنسين بشكل مباشر بميثاق النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع رهبان كاترين (شقير، 1995).

وأثناء إقامة نابليون بمصر في الفترة من 24 يوليو 1798 وحتى 1 فبراير 1799، اهتم نابليون بشكل خاص بأمن الدير وسلامة رهبانه بسبب إخلاصه لموسى، ولأنه، كما قال، "ودير جبل سيناء يسكنه رجال من العلماء والمتحضرين". في عام 1799توجه بعدها نابليون بونابرت الى مدينة سانت كاترين بصفتها مكاناً دينياً هاماً وحصناً من الحصون القوية في سيناء فقد أصدر منذ مجيئه الى سيناء منشوراً ينظم فيه العلاقات بين الدير والدولة؛ تضمن الاهتمام بطريق الحج في سيناء كاهتمامه بدير سانت كاترين ورهبانه رغم المشاكل التي كانت تعاني منها الحملة الفرنسية. وفي 10 نوفمبر 1798، ذكرت صحيفة كورير دي جيبت ما نصه:" في 17 برومير (7 نوفمبر) استقبل الجنرال بونابرت أربعة وعشرين نائبا من القبائل العربية التي كانت تسكن أرض سيناء والطور.. رافق راهب من جبل سيناء القافلة للعمل مترجماً لها (الهيئة العامة للاستعلامات، 2016).

[8] وفقا للسجل التاريخي ، فقد تم تكريم الحريات التي منحها النبي محمد ﷺ لرهبان سيناء، الى جانب المجتمعات الأخرى من قبل أبوبكر وعمر وعثمان وعلى، وكذلك الامويين والعباسيين، ويشهد على عهد النبي محمد مع رهبان جبل سيناء بعد ذلك محمد بن سعد البغدادي المؤرخ المسلم وكاتب سيرة النبي في وثيقة تسمى معاهدة سانت كاترين والتي ورد ذكرها في كتابه الطبقات أو كتاب الطبقات الكبرى، وعلى الرغم من انها أقصر من النسخ الموجودة من ميثاق الحقوق والحماية والامتيازات الا انها تحتوى على جميع الاحكام الرئيسية، كلمة بكلمة تقريبا.

"كلف رهبان دير جبل سيناء راهباً من الدير كان قد رافق القافلة العربية من الطور بمهمة طلب حماية القائد العام، والمطالبة بتأكيد الامتيازات الممنوحة لديرهم من قبل مختلف الحكام المسلمون من عهد النبي محمد عليه الصلاة والسلام وحتى عهد السلطان الحاكم. وقدَّم في تلك المناسبة بعض المراسيم التي تُثبت التنازلات الممنوحة لهم." (Tesson, D. L. (1892)

بصمات الحملة الفرنسية في الديـــر

أولاً: مرسوم نابليون بونابرت لرهبان دير سيناء

وقعت وثيقة نابليون بونابرت الرسمية باسم "بونابرت" بصفته القائد العام لجيش إيطاليا – بتاريخ 1797 (السنة السادسة للجمهورية الفرنسية)، وبما أن بونابرت مُنح في هذه الوثيقة لقب الجنرال والقنصل الأول للجمهورية، فإن تاريخ هذه الوثيقة يسبق تتويجه إمبراطوراً عام 1804. وفي 19 ديسمبر 1798 أصدر نابليون مرسومًا يضمن بموجبه حقوق الدير، ووضعه ورهبانه تحت حماية حكومته، وإعفائهم من الضرائب والرسوم الجمركية، كما أمر السلطات المدنية والعسكرية بضمان عدم مضايقة الرهبان والمنشور معروض بمتحف دير سانت كاترين المقام داخل البرج الذي قام نابليون بترميمه.

وينص مرسوم نابليون بونابرت لرهبان دير سيناء على:"نابليون بونابرت، القائد العام، رغبةً في تفضيل دير جبل سيناء ونقل تقاليد فتحنا إلى الأجيال القادمة واحترام موسى والأمة اليهودية التي يعود تاريخ علم الكونيات فيها إلى العصور الأولى؛ لأن دير جبل سيناء يسكنه رجال متعلمون ومثقفون، يعيشون في وحشية الصحراء، إلخ...، (شكل 18). ويتضح من ترجمة نص المرسوم أنه لم يمنح امتيازات دينية وتجارية للرهبان فحسب، بل وفر لهم أيضاً الحماية من البدو.

ثانياً: تـــرميم نـابلـيون أســـوار الديـــر

أمر القائد نابليون بونابرت مهندسيه بترميم أسوار الدير المقدس المتضررة بعد أكثر من 1200 عاماً من بنائه، وظلت الحجارة الصغيرة الموجودة في أعلى اسوار الدير (شكل 2)،دليلاً على ترميم الحملة لأسوار الدير حيث إن الأحجار الضخمة عند قاعدة الاسوار هي بقايا ما بناه الإمبراطور جستنيان (Evans, 2004)

ثالثاً: تـــرميم كلـــيبر لجدار الدير والبـــرج القائم

بعد رحيل نابليون بونابرت من مصر إلى فرنسا، ترك قيادة الحملة للجنرال كليبر عام 1800 الذي أرسل له نابليون في أوائل عام 1801 لترميم برج القديس جورج القائم بالسور الشمالي الشرقي لدير سانت كاترين بعد تعرّضه لسيول عام 1798 أدت إلى تهدمه، وقد سجل كليبر هذا الترميم على لوحة من الرخام ما زالت باقية بالجدار الشمالي الشرقي للدير حتى اليوم ، وعلى الأسوار الخارجية نقوش أصبح من الصعب الآن قراءة القديم منها، أما الحديث من هذه الكتابات فيمكن قراءته ومن هذه الكتابات ما سجله القائد الفرنسي كليبر من إصلاح الأجزاء العليا من الجدار الشرق جنوبي، عام 1801م (شكل 19) ، (شكل 20) ، (Herold, 1962 ؛ Meistermann, 1909a).

وفقًا لمذكرات الحملة الفرنسية، كتاب" وصف مصر "الذي وضعه علماء الحملة، تم ذكر أعمال ترميم في دير سانت كاترين، لكن لا يوجد ذكر لبناء أبراج جديدة بالكامل.

ويشير المؤرخ Butler (1884) في كتابه "الكنائس القبطية القديمة في مصر" إلى أن التعديلات الفرنسية كانت محدودة ولم تشهد بناء هياكل جديدة. لقد خضعت جدران الساحة للترميم. وفى الجدار الشرقي والجنوبي استخدمت عدة كتل من الجرانيت تحمل نقوشا خام بارزة، وخاصة الصلبان بجميع الاشكال المستخدمة في شعار النبالة. انهار جزء من الجدار الشرقي في نهاية القرن الثامن عشر. وفي عام 1801، أرسل كليبر قائد الحملة ستة وأربعين عاملا وبناء من القاهرة، وقام بترميم السور مع تعزيزه ببرج دائري جديد على نفقة الجمهورية الفرنسية. ولتخليد ذكرى هذا العمل، قام الرهبان بنقش عبارة باللغة اليونانية الحديثة على لوحة رخامية بيضاء صغيرة على هذا البرج (Butler, 1884).

وفقاً لإصدار متحف اللوفر، تحت عنوان "دير القديسة كاترين: ملتقى الثقافات"، فإن هناك أربعة أعمال قام بها الجنرال كليبر في دير سانت كاترين، وهي: (1) الإصلاحات الدفاعية: قام كليبر بإصلاح أجزاء من أسوار الدير لتحصينه، نظرًا لأهميته الاستراتيجية في منطقة سيناء. (2) التحسينات اللوجستية: تم تحسين بعض المرافق داخل الدير لتسهيل إقامة الجنود الفرنسيين لفترة مؤقتة. (3) التفاعل مع الرهبان: على الرغم من التوترات الأولية، حاول كليبر الحفاظ على علاقة متوازنة مع رهبان الدير، واحترام طابعه الديني. (4) التوثيق الفرنسي: سجل المهندسون والعلماء المرافقون للجيش الفرنسي أوصافًا مفصلة عن الدير، بما في ذلك حالته قبل وبعد الترميمات (إصدارات اللوفر، 2017).

يعد برج القديس جورج علامة بارزة في عمارة الدير وقد أطلق عليه هذا الاسم لوجود كنيسة القديس جورج بداخله.وما يزال هذا البرج محتفظاً بالتخطيط الأصلي منذ بناء الدير في القرن السادس الميلادي شاملاً الادوار العلوية والممر الداخلي. يتكون البرج من أربعة مستويات: الأول: به مدخل للحجاج المسيحيين، الذين كانوا يدخلون منه إلى الدير. الثاني: به ما يسمى (سكيفو فيلاكيون) وهو المكان المخصص لحفظ الأغراض الدينية من أيقونات وأواني مقدسة وثياب مقدسة ومخطوطات الدير، فهو بمثابة متحف الدير القديم. الثالث: الدوفارة، وهو الونش الذي يتم عن طريقه سحب المؤن وأحيانًا الأشخاص للدير فى العصور الوسطى. الرابع: كنيسة القديس جورج التي أعيد بناؤها عام 1803م (Bassili, 1957).

وقد حدث زلزال في القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلادي أدى إلى تهدم جزء من البرج، وتهدم جزء آخر في عام 1798م نتيجة سيول شديدة. وقام "كليبر" الذي أرسله نابليون عام 1801م بترميم البرج وخلال هذا الترميم تم كسلء البرج من الخارج بكسوة خارجية غيرت من شكله الأصلي الذي كان برجاً مربعاً، وفي عام 1971م تهدم الجزء العلوي من البرج شاملاً كنيسة القديس جورج نتيجة حريق ولحسن الحظ لم تصل النار للمخطوطات الموجودة بـ سكيفو فيلاكيون (Robino, 1958) .

وقد أجريت ترميمات سريعة بالبرج عام 1977 للجزء الجنوبي من كنيسة القديس جورج من خلال عمل أرضية أسمنتية، وأُعيد بناء "سكيفو فيلاكيون" بالأسمنت، وقد استعملت لوقت قصير عام 1988 كسكن مؤقت لمطران الدير، ومنذ ذلك العام حتى عام 2001 تم استخدم هذا البناء كمخزن. كما تم ترميم الواجهة عام 2001 وإعدادها كقاعة لعرض أيقونات ومقتنيات الدير، طبقًا لأساليب العرض المتحفي وهي الآن معرض لأيقونات الدير وذخائره. ويحتفل الدير يوم 8 ديسمبر من كل عام بذكرى استشهاد القديسة كاترين، وقد شهد علماء الحملة الفرنسية مظاهر هذا الاحتفال (ريحان، 2012).

الخاتمـــــــة

حظيت سيناء ودير سانت كاترين اهتماماً كبيراً على مر العصور، ومازالت دير سانت كاترين علامة فارقة في مجال السياحة، وجهة تجمع بين الأصالة والتفرد، وبين الماضي والحاضر، لتظل على الدوام أحد أبرز الكنوز الطبيعية والاثرية في مصر. فمدينة سانت كاترين ليست مجرد مدينة، بل هي جزء من تاريخ عريق يعود الى عصور قديمة، حيث كانت هذه المنطقة مأوى للعديد من الرهبان والمتعبدين، ليس هذا فحسب بل إنها أجبرت كل من مر عليها من ملوك وجنرالات ورؤساء على مر العصور على ترك أثرهم وانطباعهم كتراث عبر التاريخ. وأبرز مثال على ذلك هو مرور الحملة الفرنسية على سيناء ودير سانت كاترين، والذي ترك هناك بصمات تكشف عن جانب مهم من تأثير هذا الحدث التاريخي في منطقة تحمل طابعاً دينياً وثقافياً فريداً. ولم تقتصر آثار الحملة على الجوانب العسكرية والسياسية فحسب، بل امتدت لتشمل التوثيق العلمي والمعرفي، حيث أبدى العلماء المرافقين للحملة اهتماماً ملحوظاً بالدير ورهبانه.

إن بصمات الحملة الفرنسية في دير سانت كاترين تعد توثيقاً هاماً لمعالم الدير ودراسة مخطوطاته مما ساعد على ابراز أهمية الدير كموقع ديني تاريخي جغرافي. ومن هنا تعتبر بصمات الحملة الفرنسية بمثابة لحظة تفاعل ثقافي امتد إلى يومنا هذا ، من خلال (1) إدراج دير سانت كاترين على قائمة التراث العالمي 2002، (2) السعي وراء مشروع "التجلي الأعظم" الذي بدأ الإعلان عنه عام 2022، والواقع بين جبل موسى وجبل سانت كاترين والمقرر تنفيذه على مساحة مليوني متر مربع في المنطقة الواقعة بين جبل سانت كاترين وجبل موسي ويستهدف تطوير الدير والمنطقة المحيطة به وإنشاء مزار روحاني لوضع مدينة سانت كاترين على خريطة السياحة العالمية وجذب مليون سائح كل عام للمدينة الأثرية، (3) تجديد استراحة الرئيس السادات لتصبح ساحة السلام، (4) انشاء الفندق الجبلي المطل على دير سانت كاترين ليتوافق مع البيئة وطبيعة المكان بهدف تنشيط "سياحة المسارات الروحية". علماً بأنه سيتم افتتاح هذا المشروع في أكتوبر القادم عام 2025.

النتائج

- شهدت فترة وجود الحملة الفرنسية في مصر تفاعلا بين علماء الحملة ورهبان الدير مما أسهم هذا التفاعل في تعزيز المعرفة المتبادلة حول المخطوطات داخل الدير وهذا أدى الى الاثراء الثقافي.
- بعد رحيل الحملة عن مصر، أصبح الدير محط أنظار واهتمام للعديد من الزوار وذلك لأهميته الدينية مما ساهم في تعزيز السياحة الدينية.
- قدمت الحملة لرهبان دير سانت كاترين العديد من الدعم والحماية، مما ساعدهم في الحفاظ على أنشطتهم الدينية والثقافية، وأيضا الحفاظ على جميع المخطوطات الموجودة بداخل الدير.

- اهتمام علماء الحملة بدراسة المخطوطات والاثار داخل الدير، مما ساهم في توثيق تاريخ الدير ونقل معرفته الى أوروبا.
- قيام قواد الحملة الفرنسية بترميم أجزاء من دير سانت كاترين، جعل للدير حصون قوية وتحصينات دفاعية ومعماريه، ما زالت موجودة حتى وقتنا الحالي وذلك ساعد على حماية رهبان الدير من هجمات البدو.
- بدراسة مرسوم نابليون وتحليل محتواه، تبين أن هذا المرسوم يحتوي على نفس الامتيازات الذي منحه نبي الله محمد ﷺ لرهبان دير سانت كاترين.
- من تحليل مرسوم نابليون بونابرت والامتيازات التي منحها لرهبان دير سانت كاترين، تبين انها نفس الامتيازات التي يتمتع بها رهبان الدير في الوقت الحالي.
- ما قام به علماء الحملة الفرنسية من وصف الدير ومنطقة سيناء وصفا دقيقا في كتاب "وصف مصر" هذا ما جعلنا نطرح المقارنات بين الحالة الحالية للدير وبين سابقيه.

التوصيات

- عمل مشروع رقمنة للمخطوطات التاريخية في الدير لتسهيل الوصول اليها من قبل الباحثين في مجال التاريخ الحديث والتراث.
- انشاء مركز ثقافي بالتعاون بين مصر وفرنسا، يكون له أنشطة خاصة بكل الصناعات الثقافية التراثية من خلال مشروع التجلى الأعظم يشمل مكتبة، نماذج لمعارض فنون تشكلية، معارض للفنون السناوية، وهذا يساعد على تنشيط السياحة بصفه عامة، والسياحة المستدامة بصفه خاصة.
- احياء الادب الفرنسي وذلك بعمل مسرحيات أو دراما فرنسية لجذب السائح الفرنسي ونشر الثقافة المصرية من خلال عمل فنون شعبية وفنون تراثية.
- الحفاظ على البيئة السيناوية، وعدم احداث تغيرات متنافرة مع البيئة سواء في انشاء الفنادق او مع التطوير، وذلك باستخدام الخامات المحيطة بالمكان.
- الحث الجهات المسؤولة عن السياحة بتطوير مسارات سياحية في منطقة الدير، التعاون مع البدو كدلائل لسرد حكايات عن الدير وما يحويه المكان من اسرار وحكايات.
- حث الباحثين على عمل أبحاث تخص دير سانت كاترين في الفترات المختلفة، وتحليل الوثائق الفرنسية، وعمل دراسة مقارنة بين تعامل الحملة الفرنسية مع الدير وبين حملات لاحقة مثل الاحتلال البريطاني.

قائمة المراجع العربية والأجنبية

أولاً: المراجع العربية

- البكري، عبد الرحمن محمد (2016): المقاومة الشعبية للحملة الفرنسية في إقليم شرق الدلتا، مجلة كلية الآداب، مجلد 59، العدد التاسع والخمسون.
- بن قسمية، لمياء (2018): تأثير حملة نابليون بونابرت على مصر علميا وثقافيا 1798-1801، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم تاريخ، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر.
- حسن محمد إبراهيم، سمية (1994): سيناء السياحة والآثار على مر العصور، القاهرة.
- حسين، عبد الغفار محمد (1981): بناء الدولة الحديثة في مصر، دار المعارف، القاهرة.
- الرافعي، عبد الرحمن (1985): تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، دار المعارف، الجزء الثاني.
- الرافعي، عبد الرحمن (2000): تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء الثاني.
- رمضان، أحمد (1989): شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى، القاهرة.
- ريحان، عبد الرحيم (2012): منطقة الطور بجنوب سيناء في العصر الإسلامي، رسالة دكتوراة منشورة، قسم الآثار الإسلامية، القاهرة.
- زيدان، يوسف (2018): مخطوطات دير سانت كاترين: دراسة تحليلية. دار الشروق. للاطلاع على المخطوطات أنظر https://alta3b.com/2009/07/14/st-cathrine.
- سلطان، عبلة محمد (2015): شبه جزيرة سيناء: التاريخ والحضارة ومقومات السياحة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

- الشايب، زهير (2002): علماء الحملة الفرنسية، موسوعة وصف مصر، الدراسة الرابعة، العرب في ريف مصر، ترجمة زهير الشايب، الجزء الثاني، هيئة الكتاب.
- شقير، نعوم (1995): تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها، دير القديسة كاترين ومؤسسة جبل سيناء، مطبعة أطلس، القاهرة.
- شقير، نعوم (1999): تاريخ سيناء القديمة والحديثة وجغرافيتها، بيروت.
- شكر الله، هالة (2022): المخطوطات المسيحية في مصر: دراسة في التأثيرات الأجنبية. المركز القومي للترجمة.
- عمار، عباس (1946)، المدخل الشرقي إلى مصر، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة.
- عيسى، أحمد (1956م): "مخطوطات ووثائق دير سانت كاترين"، المجلة المصرية للدراسات التاريخية، ط.2
- فخري، أحمد (1982): تاريخ شبه جزيرة سيناء منذ أقدم العصور حتى ظهور الإسلام في موسوعة سيناء، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.
- فوزي عبد القادر، أحمد (2020): العمارة المسيحية في سيناء. الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- لورنس، هنري واخرون (1995): الحملة الفرنسية على مصر، بونابرت والإسلام، ترجمة، بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة.
- ماري مواريه، جوزيف (1984): مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية، ترجمة، كاميليا صبحي، المشروع القومي للترجمة.
- محمد عيسى، أحمد (2019): مخطوطات ووثائق دير سانت كانت كاترين بسيناء، مجلة المجلة التاريخية المصرية، العدد 5.
- محمد، محمد حلمى (د. ت): تأثير لفنون الإسلامية على الفنون الأوروبية في التحف المنقولة بدير سانت كاترين، مجلة العمارة والفنون، جامعة المنصورة، مجلد 1، العدد1.
- مصطفى، محمد حلمى محمد (2018): الدور الحضاري لدير سانت كاترين عبر العصور، مجلة البحوث والدراسات الاثرية، مجلد 9، العدد 9.
- مصطفى، محمد حلمي محمد (2012) الدور الحضاري لدير سانت كاترين عبر العصور، مجلة البحوث والدراسات الأثرية، المجلد الثالث، عدد سبتمبر.
- هويه، (2005): الحملة الفرنسية على مصر (1798-1801)، مذكرات ضابط من جيش الحملة، اعداد، باتسى جمال الدين، مراجعة واشراف، مديحة دوس، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.

ثانيا: الدوريات

- بركات، على (2005): قصة ما جرى في القاهرة، مجلة الهلال، حكام مصر من مينا الى مبارك، عدد تذكاري.
- نبيل، مصطفى (1982): في اليمن اكتشفوا هذه الاسرار عن: حملة نابليون على مصر، مجلة الهلال.
- ريحان، عبد الرحيم، مقال، 2019/9/5، 6:42 ص، تحت عنوان "حكاية قصر مهجور فوق جبل عباس باشا بسانت كاترين"، جريدة البلد، https://www.elbalad.news/3969007© تاريخ آخر دخول 2025/4/11، الساعة: 8: 45 م.
- الهيئة العامة للاستعلامات، (2016) سيناء عبر التاريخ، 24 أبريل.
- الهيئة العامة للاستعلامات، (د. ت) سيناء: أرض، تاريخ، عادات وتقاليد، الإدارة العامة للتحرير.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- Alfred, J. (1886): The Ancient Coptic Churches of Egypt, The American Journal of Archaeology and of the History of the Fine Arts, Vol. 2, No. 4.
- Attia, A. (1952): The Monastery of St. Catherine and The Mount Sinai Expedition, proceedings of the American Philosophical Society, 96(5).
- Attia, A. (1957): The Arabic Treasures of the convent of Mount Sinai in Proceedings, vol. 11.
- Bassili, W. (1957): Sinai and St. Catherine Monastery, Cairo.

- Darwish, M. A. (2022): The Fatimid Mosque in Saint Catherine's Monastery (Archaeological Study), International Journal of Cultural Inheritance & Social Sciences, Vol. 4 No. 7.
- Eckenstein, L. (1921): A History of Sinai, London.
- El-Wakil, A. (2016): "The Prophet's Treaty with the Christians of Najran: An Analytical Study to Determine the Authenticity of the Covenant", Journal of Islamic Studies, 27(3).
- Evans, Helen C. (2004): Saint Catherine's Monastery, Sinai, Egypt, A photographic Essay, the Metropolitan Museum of Art, New York in collaboration with Saint Catherine's Monastery, Sinai, Yale University Press, London.
- Fahd, T. (1989): L'Arabie préislamique et son environnement historique et culturel: Actes du Colloque de Strasbourg (24-27 juin 1987), Universite' des Sciences Humaines de Strasbourg, Travaux du centre de Recherche sur le Proche-Orient et la Gre'ce Antiques, Paris.
- Garcin, J.-C. (2003): Lectures du Roman de Baybars, E'ditions Parenthe'ses, Maison Me'diterrane'enne des Sciences de l'Homme, Paris.
- Herold, J. (1962): Bonaparte in Egypt, Harper and Row, New York, London.
- John, G., (1980) *Sinai and the Monastery of St. Catherine*, Doubleday, New York.
- Jullien, M. (1893) Sinaï et Syrie: souvenirs bibliques et chrétiens, Princeton University Library, Paris.
- Lenoir, P. (1872): "Le Fayoum, le Sinaï et Pétra: expédition dans la moyenne Egypte et l'Arabie Pétrée, éd. par Jean-Léon Gérôme, Henri Plon Publication, Paris.
- Lockhart, J. G. (2022). The history of Napoleon Buonaparte, published by J. & J. Harper as Harper's Stereotype Edition, Volume II.
- Magi, G. (1993): La presqu'ile du Sinai, Casa Editrice Bonechi-Frenze-Italia.
- Meistermann, B. (1909a) Guide du Nil au Jourdain par le Sinaï et Pétra sur les traces d'Israël, Bibliotheca S. J. Maison Saint-Augustin ENGHIEN, Paris.
- Meistermann, B. (1909b). Le Couvent du Mont Sinai. Paris: Librairie Victor Lecoffre.
- Menely, D. & Abdel-Hakim, S. (2006): Travelling through Sinai, American University in Cairo Press, Cairo,
- Morrow, J., A., (2013), The Covenant of the Prophet Muhammad with the monks of Mount Sinai: Issues of historicity, authenticity and Reliability.
- Morrow,J. A. (2019): "The Covenants of the Prophet Muhammad Continue to Cause Controversy", The Maydan, October 16.
- Ratliff, B. (2008): "The Monastery of Saint Catherine at Mount Sinai and the Christian Communities of the Caliphate".
- Robino, B. (1958): Le Monastere de Saint- Catherine du Mont Sinai, le caire, 1938,
- Saint Catherine's Monastery: A Crossroads of Cultures. Paris: Louvre Editions.

- Sanni, A. (2015): Review of the Covenants of the Prophet Muhammad with the Christians of the World, Journal of Muslim Minority Affairs, 35(4).
- Shams, A. (2011): The Treasures of the Holy of St. Catherine at Mount Sinai: From 6th Century CE to The Museum of 21th Century CE, Management and Development of Cultural Heritage (MDCH), PhD, IMT Institute for Advanced Studies, Luccca, Italy.
- Sotiriou,G.M.(1918): les icons du mont sinat, Athens, vol. 2.
- Tesson, L. (1862): Voyage au Mont Sinaï, Bibliothe'que des E'coles Chre'tiennes, Mame Publication, Paris.
- Thibaudeau, A. (1828): Histoire generale de Napoleon Bonaparte, de sa vie Prive'e et Replique, de sa Carriere Polirique et Militaire, de son Adminstration et De son Gouvernemente; Par A. C. Thibaudeau: Guerre d'Egypte. Tome Second. Mentem Alit et Excolit, K.K. Hofbiliothetk Osterr. National Bibliothek.
- Tsafrir, Y. (1978). St. Catherine's Monastery in Sinai: Drawings by I. Dunayevsky, Israel Exploration Journal, Vol. 28, No. 4.
- Karim,Z. K., (1998): British Sinai: its geopolitical signicance in the middle east and its strategic role in British colonial policy, Durham theses, Durham University. Available at Durham E-Theses Online: http://etheses.dur.ac.uk/5051.

Websites

https://egymonuments.gov.eg/ar/monuments/the-fatimid-mosque,

الأشكال

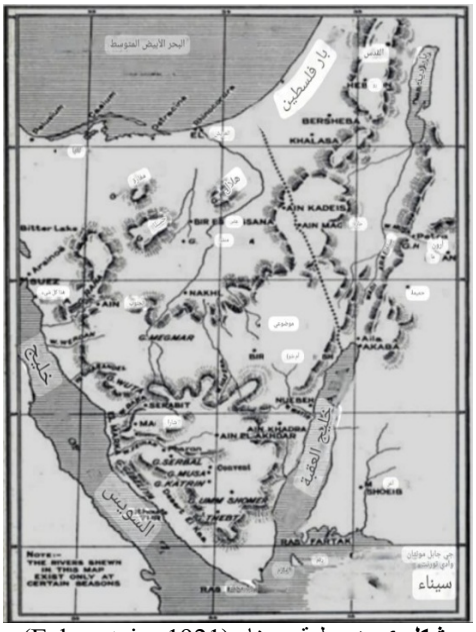

شكل 1: خريطـة سـيناء (Eckenstein, 1921).

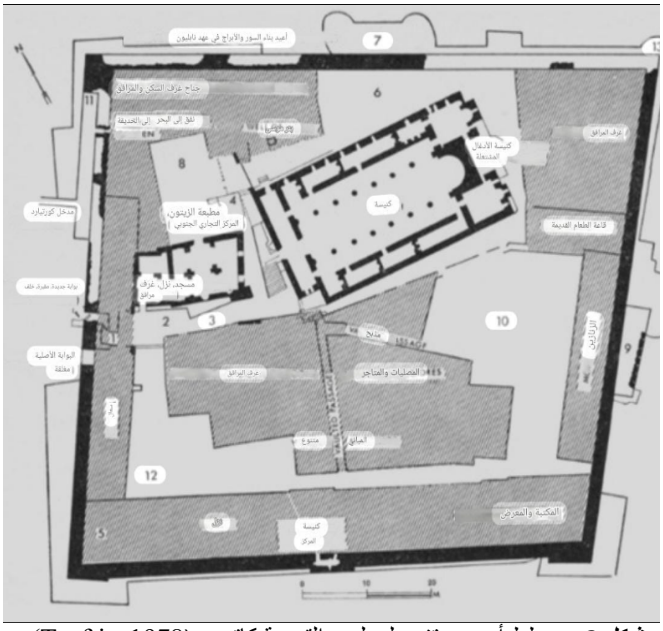

شكل 2: مخطط أرضـي تفصيلي لدير القديسة كاترين (Tsafrir, 1978).

شكل 3: صورة نادرة للدير للمصور بيتري (Eckenstein, 1921).

شكل 4: جبل سانت كاترين خلف الدير.
https://www.seetheholyland.net/st-catherines-monastery©

شكل 5: بقايا قصر عباس الأول.
https://masrgamila.wordpress.com©

شكل 6: بئر موسى، دير سانت كاترين.
©https://gate.ahram.org.eg/daily/News

شكل 7: كنيسة التجلي (كنيسة سانت كاترين) بالدير.
©https://www.bbc.com/arabic/articles

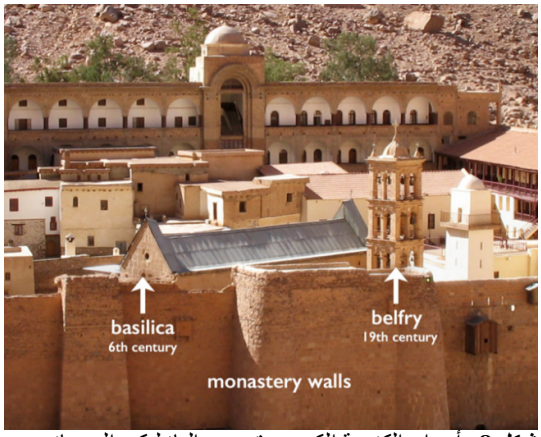

شكل 8: أسوار الكنيسة الكبرى بتصميم البازليكى الروماني.
©https://www.bbc.com/arabic/articles

شكل 9: كنيسة العليقة.
©https://egymonuments.gov.eg/ar/monuments/the-church-of-the-burning-bush

شكل 10: شجرة العليقة المقدسة.
©https://whc.unesco.org

شكل 11: مقام النبي هارون عليه السلام.
©https://safarway.com

شكل 12: مكتبة الدير من الخارج.
©https://egymonuments.gov.eg/monuments/the-library-of-saint-catherine-s-monastery

شكل 13: مكتبة الدير من الداخل.
©https://www.bbc.com/arabic/articles/clyvz39yy57o

شكل 14: مكتبة فاروق للمخطوطات.
©https://egymonuments.gov.eg/monuments/the-library-of-saint-catherine-s-monastery

شكل 15: مسجد الوادي المقدس (مسجد الحاكم بأمرالله).
©https://www.viator.com

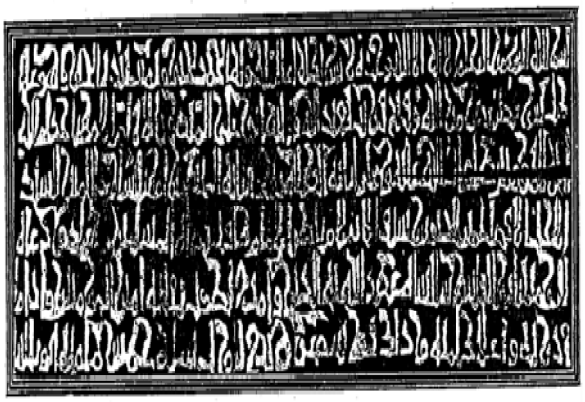

شكل 16: مخطوط في الدير يخص مسجد الحاكم (شقير، 1995).

شكل 17: العهدة التي منحها محمد ﷺ لرهبان الدير.
©https://johnandrewmorrow.com/2015/01/28/the-covenant-of-the-prophet-muhammad-with-the-monks-of-mount-sinai

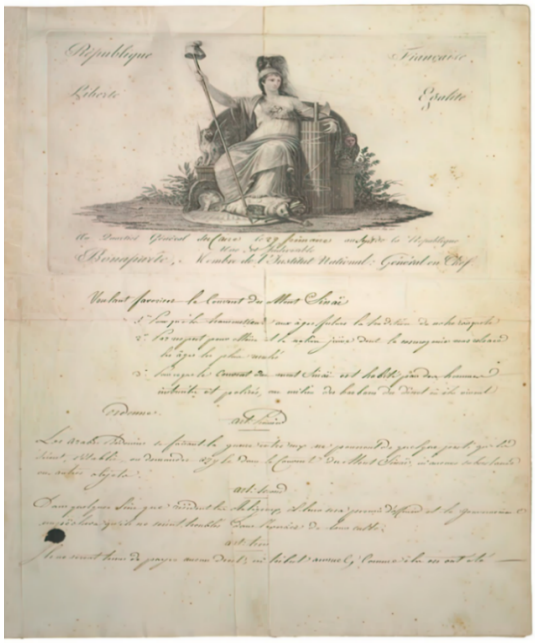

شكل 18: مرسوم نابليون بونابرت لرهبان دير سيناء.
©https://mused.com/items/146992/decree-of-napoleon-bonaparte-assuring-the-privileges-of-the-monastery-of-sinai

شكل 19: برج سان - جورج من تجديدات كليبر.
©https://daralmaref.com

شكل 20: برج سان - جورج اثناء الترميم ,Meıstermann (1909).